

# الأطفال في الفكر الجغرافي المعاصر

أ.د. مضر خليل عمر

## المدخل

منذ أن تبلور الفكر الإنساني وظهرت دراسات جغرافية والجغرافيا معنية بالإنسان في البيئة التي يعيش فيها وينشط . وقد لا تكون الصلة الحميمة (بين الإنسان والبيئة) واضحة للوهلة الأولى ، فوصف البلدان والأقاليم لا يخلوا من ارتباط بحياة الناس اليومية و وصف للبيئات التي يعيشون فيها. ولكن ما ندعوه اليوم بالجغرافيا التطبيقية Applied Geography (منهجيا وليس فرعاً من فروع الجغرافيا - كما يعتقد البعض) يعود إلى ددلي ستامب منذ أواسط القرن الماضي (1949) . و ارتبط هذا المنهج بالتخطيط الحضري والإقليمي وبالتمية البشرية وبالموارد الطبيعية . ولهذا السبب ، انتقلت الجغرافيا في مستوى دراساتها من المقياس الكبير Macro-scale إلى المتوسط Meso (الأقاليم والوحدات الإدارية) ، ثم الدقيق Micro (الوحدات الإحصائية الصغيرة والشوارع) .

باننتقالها إلى هذه المستويات التفصيلية من التقصي و التحليل فقد توجهت الجغرافيا إلى دراسة السلوك الفردي والجمعي للإنسان ، والتركيز على المجاميع الصغيرة . فظهرت مسميات جديدة في الجغرافيا ، مثل : الجغرافيا السلوكية ، الجغرافيا الاجتماعية للمدينة ، الخارطة الذهنية ، جغرافية بيع المفرد ، جغرافية التعليم ، وغيرها . ونظراً للتشظي الكبير الذي حصل في الاهتمامات الجغرافية وتشعبها فقد أصبحت كلمة (جغرافيا Geography) لا تفي بالغرض عند البعض، لذا استعويض عنها ب(جغرافيات Geographies) لتضم مجموعة من الاهتمامات الجغرافية المشتركة في موضوع الدرس (الأطفال ، النساء ، التنمية) .

وبارتباط الدراسات الجغرافية بالحياة اليومية للإنسان Geography of Every Day Life فقد انسأقت وراء الموجه التي جرفتها والعلوم الأخرى لدراسات متداخلة التخصصات مشتركة في الاهتمامات . فتعاظم اهتمامها بتنمية المجتمع ، خاصة وان خطط التنمية تتطلب مساحاً ميدانياً مكانياً للظواهر والمشاكل المطلوب دراستها ومعالجتها ، ومتابعة مكانية لتنفيذ البرامج والخطط . وفي ميدان التنمية برز الأطفال موضوعاً ساخناً فاهتم به الجغرافيون .

لم يقتصر المنهج التطبيقي على الجانب البشري من الجغرافيا ، بل ساد في الجانب الطبيعي أيضاً . وكان الهدف استثمار المعرفة الجغرافية الطبيعية لخدمة المجتمع أيضاً . لذا ، عندما تعالت صيحات المصلحين والمحذرين من المخاطر والكوارث الطبيعية ، كان للجغرافيا الباع الطويل في الربط بين المظاهر الطبيعية والبشرية ، لأنهما يحدثان في المكان ، ويؤثران

على الإنسان . فدراسة الإنسان في المكان وما يؤثر عليه وعلى حياته اليومية فيه هو جوهر الفكر الجغرافي (بشقيه الطبيعي والبشري ، فالفكر واحد ولكن الاهتمامات مختلفة).

لذا فإن اهتمام الجغرافيا بالأطفال جاء نتيجة طبيعية لاهتمامها بالمجتمع بكامل فصائله وشرائحه وبالبيئة بأنواعها الطبيعية والاجتماعية والعمرائية . وكانت المعطيات التي ركزت عليها الجغرافيا عند دراسة الأطفال ترتبط بالمكان بشكل مباشر : كيف يتفاعلون في المكان ؟ و مع المكان ؟ ما هي خبراتهم به ؟ ما هي الصور الذهنية التي يحملوها عنه ؟ ما تقييمهم للتنظيم المكاني للبيئة التي يعيشون فيها و يلعبون ؟ ما دورهم في صناعة القرارات ذات النتائج المكانية ؟ كيف يستوعبون البيئة المحلية ؟ وكيف يتعاملون معها ؟

وللإجابة عن مثل هذه التساؤلات فقد تقصى الجغرافيون سلوكيات الأطفال في المكان، آرائهم ، مواقفهم ، العوامل المؤثرة عليهم ، وبقي الهدف تخطيطيا : أن يكونوا إيجابيين مع المجتمع والبيئة (المحلية والعالمية) . وفي مجال التعليم انطلق الجغرافيون من مقولة مفادها إن معرفة المجتمع والبيئة المحلية هي خير منطلق لمعرفة المجتمع والبيئة العالمية واستيعاب التنوع الحضاري والحياتي فيهما . فجغرافيات الأطفال ، هي في المحصلة النهائية جغرافية سلوكية اجتماعية بيئية بمنحى تطبيقي . إنها تدرس التنظيم المكاني لعالم الأطفال بنوعيه المنظور والمدرک (الموضوعي والذاتي).

### المقدمة

هذا ليس مقالا فكريا ، ولا بحثا أكاديميا ، إنه عرض موجز لموقع الأطفال في الفكر الجغرافي المعاصر . انه يلخص بعض الكتابات في جغرافيات الأطفال ، ثم يعرف بمركز بحثي خاص بأطفال المدن ، وبعدها يقدم نموذجا لبحث معني باستكشاف الأطفال لساحة المدرسة وتعلمهم لخبرات اجتماعية ومعرفة بيئية من خلالها . والهدف من كتابته هو عرض مساهمة الجغرافيين في جوانب قد تكون غير بارزة عند المعنيين بالأطفال من التخصصات العلمية الأخرى ، ومعرفة صلة ذلك بالفكر الجغرافي . فالجغرافيون ينظرون إلى الأطفال كمستكشفين ، يقودهم حسهم الفطري إلى التعامل عفويا مع البيئة بطريقة تتناغم كليا مع الجغرافيا فكرا ومنهجيا . فهم وسيلة البحث وهدفه . وفي هذا اقتربت جغرافية الأطفال كثيرا من علم الإنسان (الأنثروبولوجي) حيث اعتمدت تقنياته في الملاحظة والمشاركة والتحليل (اللاكمي) . كما تعمقت في دراسة السلوك الفردي والجمعي للأطفال<sup>1</sup> ، كما اهتمت بهم كمجموعة اجتماعية<sup>2</sup> ذات متطلبات خاصة ، و كونها الأضعف في المجتمع وتتأثر أكثر من غيرها بما يتعرض له من مشاكل اجتماعية وبيئية . واهتمت بهم كمتلقي للبيئة ودروسها ، وكمؤشرات اجتماعية حساسة للتغيرات التي تحدث وتطرأ على المجتمع . فهم أكثر من شيء، انهم مادة جغرافية غنية بمعطياتها ، انهم ظاهرة بشرية لم تدرس بما فيه الكفاية بعد .

## أدبيات جغرافيات الأطفال

تعود بدايات الكتابة بمسميات جغرافيات الأطفال Children's Geographies إلى عقد الثمانينات من القرن الماضي ، مع عدد من الكتابات ذات العلاقة التي سبقت ذلك (ينظر ملحق 1) . وقد صدرت مجلة بهذا العنوان عام 2003<sup>3</sup> ، وهناك العديد من المجالات التي تعنى بالأطفال ومن جوانب مختلفة ، بما فيها الجغرافية ، ولكنها ليست متخصصة بجغرافيات الأطفال . وفي عام 2003 عقد مؤتمر علمي عالمي لتحديد طبيعة دراسات الأطفال والتخصصات العلمية المشاركة في الموضوع . تبع ذلك قيام الجمعية الجغرافية الملكية ومعهد الجغرافيين البريطانيين بإصدار مطبوع بعنوان (الخطوات الأولى : مبادئ جغرافيات الأطفال والشباب)<sup>4</sup> . ضم عرضا نقديا ل(22) بحثا وكتابا ورسالة جامعية . يقدم هنا بعض منها قصد التعريف بالموضوعات التي تناولها الباحثون ، ولتكون مرجعا ومرشدا لمن يرغب في التعمق في الموضوع ، واستكشاف عالم الأطفال الرائع .

ألف دونالد ونيكوت<sup>5</sup> كتابا بعنوان (اللعب والحقيقة) ونشر من قبل أكثر من دار نشر وبتواريخ مختلفة لأهميته وكثرة الطلب عليه : 1971 ، 1974 ، 1980 ، 1982 ، و1991 . وقدم العرض ستيوارت أتكين ، أستاذ الجغرافيا في جامعة ولاية سان دييغو في الولايات المتحدة ، وهو محرر في مجلة جغرافيات الأطفال مكلف بقسم أمريكا الشمالية . وكتب رسالته الجامعية أواسط ثمانينات القرن الماضي ، وحينها تعرف على كتابات ونيكوت . وكان الأخير يدرس الأطفال في المجال (الفضاء) و البيئة ، و أشار إلى المجال الانتقالي transitional space وقال عنه بأنه ليس حقيقة نفسية داخلية ، بل من خارج الطفل ولكنه ليس من خارج الواقع . ففي أماكن اللعب يتجمع الأطفال و يجمعون أشياء أو يذكرون ظواهر من الواقع الخارجي ويستخدموها لخدمتهم ، لواقعهم الذاتي ، الداخلي . ويعد هذا نوعا ثالثا من الحقيقة ، يفصل و يوحد الوجود الداخلي والخارجي . فالمجال الانتقالي يمثل منطقة حيادية للخبرة لا يمكن تحديدها ، إنها تسمح بمعالجة مرنة للمعاني و للعلاقات . وينتهي أتكين عرضه النقدي بالقول بان الأطفال يصنعون حضارة المستقبل و رموزه ، فهم قادرون على إخراج شيء من داخلهم و ممارسته ، وأن على المجتمع أن يستفيد منهم .

وعرضت كيم انكلند ، أستاذة الجغرافيا المشارك في مركز بحوث العوائل التابع إلى جامعة واشنطن في الولايات المتحدة ، ملخصا لكتابات إيزابيل دايك<sup>6</sup> مشيرة إلى تأثير المجال على حياة النساء ، ليس فقط من حيث شكل المبنى و تنظيمه ، ولكن أيضا المشاكل المصاحبة لعملها فيه ، وهذا جانب مركزي لفهم كيفية يتكون التفاعل الاجتماعي في المجال وكيف يستوعب . فالنساء محليات بدرجة عالية في شبكة العلاقات الاجتماعية ، فاللقاءات عبر السياح و الجيرة والشارع مهمة للمشاركة في المعلومات عن الطفولة ورعايتها . يضاف إلى ذلك ، فان

علاقات الأمهات هي التي توطر علاقات الأبناء في المراحل الأولى من حياتهم على وجه الخصوص .

وكتب روجر هارت الإداري في مجموعة أبحاث بيئات الأطفال التابع إلى مركز البيئات البشرية في جامعة مدينة نيويورك كتابا عن مشاركات الأطفال Children`s Participation الذي ترجم إلى لغات عدة منها الصينية و اليابانية والأسبانية و الإيطالية لأهميته . وقد نال الدكتوراه أواسط السبعينات في موضوع جغرافية الأطفال . عرض عملا مشتركا لباحثين ، واحد جغرافي ( توني فيسون ) والآخر معماري (كولن وارد) <sup>7</sup> مشيرا إلى إمكانية توجيه تلاميذ المدارس وطلابها للقيام بأبحاث ودراسات عن بيئاتهم المحلية ، وأن آراؤهم ذات أهمية كبيرة في التخطيط . كما أبدى إعجابه بالتطورات الحاصلة في النظرية الاجتماعية وفي اهتمام الجغرافيين بالطفولة ، وعده شيئا مثيرا يستحق التشجيع .

وقدمت سارة هولوي <sup>8</sup> ، الأستاذ المساعد في الجغرافيا البشرية في جامعة لفره (المملكة المتحدة) عرضا لبحثين كتبتهما سندي كاتز <sup>9</sup> للمقارنة بين نيويورك و قرية في السودان بقصد تحليل التأثيرات المتبادلة بين البيئات المحلية و العالمية . وقد نظرت سندي إلى الحضارة المحلية من زاوية الكيفية التي ينظم بها الأطفال يومهم ، وتوصلت إلى نتيجة مفادها بأنها محددة بالعمليات العالمية ، التي تعمل في الأماكن المحلية أيضا . لذا فالفاصل بين المحلي والعالمي مجسر (ليس هناك فاصل) ، وهناك حاجة لدراسات تعنى بالطفولة لأنها الأكثر تأثرا بما يجري في العالم الواسع وليس فقط بالبيئة المحلية .

ثم عرض أوين جونز ، الباحث في مدرسة العلوم الجغرافية في جامعة برستول في إنكلترا بحثا إلى كرس فيلو <sup>10</sup> موضحا فيه أن ما يعرف بجغرافيات الطفولة و ا أو جغرافيات الأطفال معنية بشكل خاص بعالم الأطفال الذين يعيشون عالمهم بدون خبرة ، وإن خبرتهم تتبع من دواخلهم . لذا فان دراسة هذا العالم تكشف الكثير من المجهول و تزود الباحث بمعين صاف نقي دون شوائب وأكاذيب للدراسة والتقصي .

وقدم كرس فيلو ، أستاذ الجغرافيا في جامعة كلاسكو في المملكة المتحدة ، عرضا مقتضبا لكتاب كولن وارد <sup>11</sup> المعني بالجغرافيا الاجتماعية للأطفال ، محدددا العلاقة بين دراسة الأطفال والجغرافيا الاجتماعية من جهة ، وبين دراسة الريف و الجغرافيا الاجتماعية من جهة أخرى . وقد ركز الكاتب على مجال لعب الأطفال لأنه المجال الاجتماعي الخاص بهم . وقد استخلص أنهم يتعلمون الكثير من خلال الأدوات الذاتية التي تتوفر لهم أو يوفروها بأنفسهم ، وانهم في لعبهم يحددون ما سيكونون عليه و ما يعملوه . ويركز الكاتب على ضمان سلامة الأطفال في اللعب وأهمية التعليم المنتظم لهم ، وفي الوقت نفسه ، السماح لهم لبناء شخصياتهم المستقلة ، وليكونوا مؤشرات بيئية اجتماعية في الجانب الآخر . انهم مرآة المستقبل و مؤشرا ته .

وعرضت سندی کاتز ، أستاذة الجغرافيا في مركز دراسات المرأة و البيئة النفسية التابع إلى جامعة مدينة نيويورك كتابا مشتركا لمؤلفيه وود و بيك صدر عام 1994 في إنكلترا وأمريكا في الوقت نفسه معني بدور القواعد المنزلية في تربية الأطفال و توجههم وسلوكهم و علاقاتهم بالأشياء المادية .<sup>12</sup> فالقواعد والضوابط الحضارية للطبقة الاجتماعية - الاقتصادية ، و الجنس ، والعرق ، والقومية ، والجنسية جميعها يمتصها الطفل ويتشبع بها ويعبر عنها من خلال علاقاته مع الآخرين ومع الأشياء المادية . فدراسة سلوك الأطفال و المفاهيم المتداولة بينهم تعكس الضوابط التي وجهت سلوكهم ، إنهم مرآة صافية للمجتمع الذي ينتمون إليه .

ولخص هيو ماثيوس ، أستاذ الجغرافيا و مدير مركز دراسات الأطفال والشباب في كلية نورثامبتون الجامعة (إنكلترا) ، كتاب روجر هارت الموسوم (خبرة الأطفال للمكان)<sup>13</sup> الذي يعده من جذور جغرافيات الأطفال لتركيزه على أهمية النظر إلى عالم الأطفال نظرة خاصة ، وتحليل توافقهم مع المكان و خبراتهم فيه والخرائط الذهنية التي يحملوها عنه ، وكيفية قضاءهم الأوقات خارج المنازل ، و وصفهم لما يحبوه ، وما يخافون منه ، و تحديدهم للاماكن الخطرة ، ومناقشاتهم و آراءهم في من يصاحبهم عند الخروج من المنزل .

ثم عرض جون ماكدريك ، الباحث في مركز بحوث الأسرة والعلاقات التابع إلى جامعة ادنبرة ، والمكلف من قبل جمعية الجغرافيين الأمريكيين بتأليف كتاب بعنوان (جغرافيات الأطفال) ، ما كتبه سييوم رونتري عام 1902<sup>14</sup> ناقدا الوضع العام مشيرا إلى أن ما هو متوفر للتسلية هو تجاري و لا يناسب الأطفال بل اليافعين . وقد ربط بين الفقر و الأطفال واليافعين . ونقد بشدة إرسال الأطفال من قبل ذويهم لجلب المشروبات من الحانات. كما عرض العلاقة بين حجم الأسرة و الفقر ، و نقد ما يصرفه الآباء على الخمر وغيره دون الأبناء .

ولخصت ليا كارستن<sup>15</sup> ، عضو مركز امستردام لدراسة بيئة المدن العملاقة التابع إلى جامعة امستردام في الأراضي المنخفضة دراسة قدمها هاينمير و ديستر عن المحلة و اليافعين والتسلية<sup>16</sup> ، مشيرة إلى أن الدراسة ركزت على اليافعين بأعمار 10 - 12 سنة في امستردام . و وجدت أن (25%) منهم يلعب داخل السكن بعد وقت المدرسة عام 1960 و أصبحت النسبة (20%) عام 1996 . وأن (25%) من الأطفال عام 1960 ينتمون إلى فرق رياضية، ارتفعت النسبة عام 1996 إلى (50%) ، و (40%) من أطفال امستردام لم يرتبط بنادي رياضي في العقدين . وفي عام 1960 كان جميع أطفال امستردام من اصل (دوتش) ، وفي عام 1996 وجد أن ثلثي الأطفال من أصول تركية أو مغربية أو من سيرنام . وفي عام 1960 كان هناك العديد من دور عرض السينما في المناطق السكنية ، أغلقت جميعها عام 1996 . وفي عام 1960 شكى جميع الأطفال من السيارات التي لم تترك لهم فسحة للعب في الطرقات . وفي

الأيام الراهنة الشكوى انصبت على الروائح الكريهة في الشوارع ومن الجردان . فالحياة لم تعد سهلة ولا افضل .

ثم قدم كينث أولويك ، أستاذ نظرية الظهير الأرضي في جامعة SLU السويدية، وهو من المهتمين بالعلاقة بين التنمية الفردية (الأطفال على وجه الخصوص) مع التنمية الاجتماعية ، عرضا مقتضبا لفصل بعنوان (الأطفال والبيئة الطبيعية) لكاتبه تاون<sup>17</sup> الذي يستشف منه العلاقة المتينة بين صحة الأطفال و رعاية الوالدين ، وكذا مع التغذية و مستوى الخدمات الصحية ، ومع البيئة الاجتماعية - الاقتصادية . ويرفض الكاتب القول السائد بان الأطفال هم مخلوقات الطبيعة ، فهم نشطون ، ويقصدون الهدف مباشرة ، وهم مخلوقات قابلة للتعلم ، ويهتمون بالناس ونشاطاتهم اكثر من اهتمامهم بالبيئة العمرانية التي تحيط بهم . فالبيئة بالنسبة للطفل ليست الطبيعة ، بل الطبيعة التي نظمها المجتمع . والاهم من كل هذا ، انهم يفككون تركيبة البيئة التي ركبها البالغون (وهذه نقطة جوهرية لفهم تفكير الأطفال وسلوكياتهم) .

ونقد جون موركن ، تدريسي طرائق تدريس الجغرافيا في جامعة برستول ، كتاب تريسي سكيلتون و جيل فالانتاين<sup>18</sup> المعنون (أماكن باردة : جغرافيات حضارات الشباب)<sup>19</sup> ، ويستخلص منه ضرورة إبراز دور الشباب في المجتمع و الاهتمام بأرائهم و خبراتهم الذاتية .

هذا غيض من فيض ، والملحق (1) يعرض الموضوعات التي عرضت في كتاب الخطوات الأولى لجغرافيات الأطفال ، وغيرها . فهكذا كانت البدايات ، والخطوة التالية يجب أن تكون عندنا دراسات عن أطفال العراق ، وما عانوه من ويلات الحرب والحصار والحرب والوضع غير المستقر اقتصاديا وسياسيا وأمنيا . دراسة الأطفال المهجرين ، و المرعوبين ، والمحرومين من الكثير لاسباب ليس لهم فيها أية مساهمة أو دور ، أطفال يعانون من شظف الحياة ولا خيار أمامهم في الوقت الراهن إلا الضياع .

### جغرافية أطفال المدن

يدرس جغرافيو المدن ، منذ القديم ، التفاعل المعقد لعناصر الحياة في المدن الكبرى ، تفاعل الإنسان مع المباني ، مع المعطيات السياسية و الاقتصادية ، مع اتجاهات السكن ، أنماط الهجرة ، العلاقات بين الجنسين ، والتأثيرات البيئية المختلفة . ورغم كل هذا بقي الاهتمام ضئيلا في تأثير هذه التفاعلات على الأطفال.

وهدف مادة جغرافيات أطفال المدن هو التقاط بعض هذه العلاقات ، واختيار الأطفال كقناة اجتماعية للدراسة والتقصي ، ودراسة الكيفية التي يتفاعل بها الأطفال مع مختلف المواقع الجغرافية ، و المقاييس و البيئات ، ومناقشة الوسائل التي يعتمدونها لتثبيت أو اعتراض أو تحوير البيئات الحضرية التي يسيطر عليها الكبار . ويركز الدرس<sup>20</sup> على :-

- (1) جغرافية الأطفال ، من حيث إدراك الأطفال للمجال ، ومفاهيمهم عن المدينة ، وكيف يكونون عاملا اجتماعيا مهما في تشكيل المظهر الاجتماعي للمدينة .
- (2) تعليم الجغرافيا ، كيف يمكن استخدام فهم الأطفال للمجال لإيجاد مواد تعليمية و ممارسات أفضل لتعليم المفاهيم الجغرافية .
- (3) طرائق بحث نوعية ، من خلال اعتماد الملاحظة والمشاركة ، جمع بيانات وتحليلها .

ويهدف إلى :-

- أ- تعريف الطلبة بفرع جديد من فروع الجغرافيا .
  - ب- تنمية خبرة إنسانية لخدمات مجتمعية عند الطلبة .
  - ت- توفير فرص للطلبة لتصميم مشاريع بحثية صغيرة وإكمالها تعتمد فيها طرائق تحليل نوعية .
  - ث- تنمية التفكير النقدي عند الطلبة ، و خبرات القراءة والكتابة البحثية .
- وقد استحدثت جامعة بوفالو في الولايات المتحدة الأمريكية مركزا خاصا لدراسة أطفال المدن<sup>21</sup> . تدير المركز الدكتورة ميكان كوب ، واهتمامها منصب على اكتشاف الكيفية التي يفكر بها الأطفال ، و معرفة خبراتهم و نشاطاتهم في المجال الحضري . وطلبتها في قسم الجغرافيا يعملون مع أطفال فقراء ، أفارقة و إسبان ، في برنامج ينفذ بعد وقت المدرسة في نادي محلي . هدف المشروع استطلاع آراء الأطفال ، و وجهات نظرهم ، في المحلة وفي المجتمع وفي المدينة . يضاف إلى ذلك ، زج الأطفال في النادي للمشاركة في بحث عن ما هو مهم في حياتهم ، وكيف يمكن أن يكون محيطهم الاجتماعي و العمراني افضل . وقد اعتمدت مناهج مختلفة بما فيها مشاريع فنية ، زيارات ميدانية ، مشاريع حاسوب ، قصص ، صنع صحيفة ، صور فيديو ، رسم خارطة ، ومناقشات .
- وفي أدناه نماذج من المشاريع البحثية التي قام بها طلبة الجغرافيا و ساهم بها الأطفال في النادي ، وكانوا مادتها أيضا :-

1) مشروع فضاء النادي ، هدفه فهم الكيفية التي يستوعب بها الأطفال المجال الداخلي للنادي وكيف يتحركون فيه . وكيف يمكن أن يغيروه حسب وجهة نظرهم ، وممارسة الديمقراطية بأخذ آرائهم و أصواتهم في التغييرات التي يروها . يبدأ الأطفال برسم صورة للنادي مع التغييرات المقترحة ، ومن ثم ينظرون إلى الرغبات المشتركة والحاجات ثم التصويت على التغييرات الممكنة ، و وضع خطة للتنفيذ ، ومن ثم كتابة تقرير بالنتائج إلى المسؤولين في النادي . والنتائج ذات أهمية خاصة لتبني إحساس بالتغييرات الممكنة في المجال سواء أكان هذا نادي أم محلة أم شارع أو المدينة .

- (2) مشروع التجوال في المحلة ، قامت طالبة في قسم الجغرافيا بمشروع تروم فيه معرفة ما هي الأشياء التي ينتبه إليها الأطفال في البيئة الحضرية . فقامت بجولة مع مجموعة صغيرة منهم وطلبت منهم اخذ صور للأشياء التي يهتمون بها . وبعد ذلك قام الأطفال بعرض الصور في جريدة هم كتابها عن جولتهم هذه ، وتحدثوا عن مشاهداتهم و ما يتذكروه وأين ذهبوا . وقد زود الأطفال بكاميرات ومن ثم قدمت لهم كهدية . تقول الطالبة بان ما تعلموه من هذا المشروع الكثير عن ما يجلب انتباه الأطفال في الشوارع (نباح الكلاب ، جردان مية في الازبال ، المتجر عند الركن يبيع حلويات ، منزل صديق) . وقد ساعد التجول في الحي مع الأطفال واخذ الصور دون إثارة حفيظة السكان المحليين .
- (3) مشروع حديقة الحيوان ، أصطحب مجموعة من الأطفال إلى حديقة حيوان المدينة ، وزودوا بميكروسكوب و ناظور يقرب الأشياء قصد اكتشاف البيئة الطبيعية في الحديقة ، وقد طلب منهم وضع دليل ميداني بالرسم والنص للحديقة . وقد انتبه الأطفال إلى أشياء لم يكن يتوقع ذلك منهم ، فقد اهتموا بالكيفية التي استخدم فيها المجال من توزيع للمراجيح و تسلق البعض للبوابة الحديدية و الركض مع الزعيق والصراخ و مخالفة تعليمات الحديقة مثل الوقوف على السياج والذهاب إلى الأماكن المغلقة . وقد طلب منهم أن يذكروا ذلك في الصحيفة التي كتبوها فأشاروا إلى أهمية وجود مكان بري (طبيعي) في المدينة ليتعرف الأطفال فيه على الطبيعة عن قرب .
- (4) مشروع نظم المعلومات الجغرافية ، والنظم هي برمجيات حاسوب تستخدم لصنع الخرائط والقيام بالأبحاث . في هذا المشروع ينظر الأطفال إلى وسائل عدة تستخدم بها النظم ، مثل الانتخابات الرئاسية فهم يتفحصون خرائط الانتخابات ، ثم يبحثون في الانترنت و الصور الفضائية و خرائط مدينة بوفالو ليعرفوا أين تقع الأماكن المحلية ذات الاهتمام ، مثل مساكنهم ، المدارس ، النوادي ، وهكذا .
- (5) مشروع المحلة ، هدف المشروع اكتشاف كيف يفكر الأطفال بالمحلة . فكل طفل أعطى مربعا خاليا من القماش ، وطلب منه رسم المنزل الذي يسكنه ، والبعض اختار إضافة عدد أفراد الأسرة ، وديكورات العطل والمناسبات و غيرها من عناصر السكن . وقد تحولت قطع القماش هذه إلى أشياء جميلة و الأطفال مبتهجون بالمشروع . في المرحلة الثانية من المشروع طلب منهم لصق أو خياطة المربعات على خلفية تشكل المحلة ، مع إضافة مواقع عدة منها النادي ، المدرسة ، الحديقة العامة ، المكتبة ، وغيرها . وعند ملاحظة الأطفال وهم يعملون تسجل تعليقاتهم و تؤخذ صور لهم طيلة فترة العمل من اجل الحصول على نظرة ثاقبة عن كيفية تفكيرهم بالمحلة ، آرائهم عنها وعن المحلات الأخرى ، وكيف يستخدمون مواد مختلفة لعرض تركيبة المجال .

6) مشروع المجتمع المحلي ، أراد أحد طلبة الدكتوراة ميكان دراسة الكيفية التي يستوعب بها الأطفال المجال ، و معاني المجتمع المحلي عندهم ، وقارن بين ما أخذه منهم مع ما موجود في الكتب المدرسية و الكتابات التخطيطية ، واعتمد المناقشة المفتوحة معهم . وسجل ما يعده الأطفال مجتمعتهم المحلي و أشر الميادين التي تتداخل فيها تعاريفهم مع التعاريف الرسمية . لقد استخلص منظورهم للمجتمع المحلي و نقد على أساسه التعاريف الرسمية .

7) مشروع التجوال في الحي ، وفر أحد الطلبة خارطة كبيرة للحي السكني ، مع رموز يمكن وضعها (قطع كارتون) حيث يشاء ، تمثل : طفل على دراجة هوائية ، طفل يحمل حقيبة مدرسية ، طفل يحمل (أيس كريم) ، طفلة تحمل (بالونة - نفاخة) ، طفلة تلعب (بيوي) ، منزل ، منزل يحترق ، مدرسة . وعلى الخارطة حدد موقع النادي ، وطلب من الأطفال سحب كل رمز و توقيعه في مكانه في جولة افتراضية في الحي السكني . أي أن يتحرك الطفل من النادي مؤشرا على الخارطة مساره و ما يشاهده و يوقع الرموز عليها .

8) مشروع تتبع الروائح ، قال أحد الأطفال بان من الأشياء التي لا يحبها في المحلة هي الروائح الكريهة فيها . ودفعت هذه الملاحظة أحد طلبة الجغرافيا للقيام بمشروع يأخذ فيه الأطفال في جولة في الحي ويطلب منهم تمييز الروائح بين الطبيعية (محببة - أوراد وزهور) وطبيعية غير محببة (الغازات و الناتجة عن حرق المطاط ) و الروائح التي يستخدمها بعض المراهقين ، وتحديد مواقعها على الخارطة . واكتشف أن الأطفال يعرفون الكثير عن المحلة .

9) مشروع التجوال في الطبيعة ، وفيه أخذ الأطفال في جولة حول نادي المحلة لاكتشاف البيئة الطبيعية من نباتات و حيوانات موجودة في وسط مدينة بوفالو في شهر كانون الأول المعروف بلونه الرمادي (كثرة الغيوم) . في هذه الجولة وجد الأطفال طيور مهاجرة ، ومختلف أنواع النباتات والفطريات . وبعد سماعهم أن هذه الفطريات تنمو على الأشجار عندما يكون الهواء نقيا اخذ الأطفال يلتصقون بالأشجار لتنشق الهواء النقي .

10) مشروع الحديقة الاصطناعية ، أصطحب الأطفال لزيارة حديقة تتوفر فيها بيئات نباتية متنوعة قصد اكتشاف أنواع البيئات ، والتي يمكن أن توجد في المدينة . وقد أخذ الأطفال صورا وقاموا بتصميم قمصان T-Shirt فيها صورا لأنواع النباتات ، وقد تعرفوا عن قرب على النباتات المدارية .

11) مشروع وسائط النقل ، هدفه معرفة الكيفية التي ينتقل بها الأطفال في المدينة (حافلات، دراجات ، مع ذويهم) . يحاول المشروع إيجاد إجابات عن الوسائط المعتمدة . وتمت

مقابلتهم وسؤالهم عن وسائط النقل في الأيام التي ليس فيها دراسة ، وقد وجد أنهم ينتقلون مع ذويهم ، وأنهم لا يستخدمون دراجاتهم الهوائية في الصيف أكثر من الفصول الأخرى .

12) مشروع المدينة في نظر الأطفال ، يهدف المشروع تفحص نظرة الأطفال و وصفهم لجزء من مدينة بوفالو . عشر أطفال طلب منهم الذهاب إلى ساحة نياكرا مع كاميرا لتصوير أجزاء الساحة التي يتوقعون أن تكون مركز اهتمام أصدقائهم و أقاربهم أو غيرهم ممن يزور المدينة . وبعد ذلك جرت مقابلتهم حول الصور التي أخذوها والسبب منها وماذا يجري في الصورة . وكذلك قاموا بصنع لعبة على شكل لوحة للساحة فيها مجال للتحرك حول الساحة من خلال الإجابة عن أسئلة .

13) مشروع سفرة ميدانية ، اخذ (12) طفلا إلى مدينة صغيرة قريبة من بوفالو بقصد معرفة كيفية استيعاب الأطفال لأماكن لم يزوروها من قبل ، وماذا سيلاحظون من مظاهر أرضية . سلم كل طفل دوارا (Folder) تعريفيا مع خارطة لشوارع المدينة وقائمة بأسئلة . وطلب منهم التجوال في المدينة باعتماد الخارطة وتأشير ما يشاهدوه على الخارطة . وسجل الباحثون الملاحظات عن أكثر الأشياء التي استحباها الأطفال ، مثل جدار صخري ، أوراق أشجار ، تلال خضراء . وبعد العودة إلى النادي قام الأطفال بصنع جريدة عن سفرتهم تضم صورا وكتابة ولصق أوراق الأشجار التي جلبوها معهم .

هذه نماذج لمشاريع أبحاث طلبة الجغرافيا في جامعة بوفالو أنجزت تحت إشراف الدكتورة ميكان كوب في مركز أطفال المدن . فماذا نعرف عن أطفالنا ؟ و هل يبغون في تفكيرنا في حيز العاطفة فقط ؟ أليس من العاطفة الحق أن نعرف كيف يفكرون ؟ وما هي وجهات نظرهم في البيئة التي يعيشون فيها ؟ نأمل أن يكون هذا الموضوع محفزا للباحثين للتفكير بجدية بالأطفال كهدف و وسيلة ، ومادة دراسية .

### الأطفال و بيئة ساحة المدرسة

لا تتوفر لعدد متنام من أطفال المدارس الابتدائية في المناطق الحضرية سهولة وصول إلى الفضاءات الطبيعية والبرية ، وتمثل ساحة المدرسة وحديقتهما واحدة من الأماكن القليلة التي يلعبون فيها مع أقرانهم خارج مساكنهم . لذلك فللساحة المدرسية وحديقتهما أهمية متزايدة في التعلم البيئي للأطفال . وإنها رمز يوفّر طبقات من المعاني معبرة عن شعور الأطفال تجاه أنفسهم ومدارسهم . إنها رسائل معبرة عن ما تعنيه المدرسة للأطفال ، ولهذا تأثيره الكبير على مواقفهم وسلوكياتهم لاحقا . وتؤثر ساحات المدارس وحدائقها ، وسياسات إدارات المدارس حيالها على سلوك اللعب عند الأطفال ، وما يتعلق بالتعلم البيئي على وجه الخصوص .

والمعنيون بالتعلم البيئي حددوا ثلاثة أبعاد له ، أولا : إن التعلم عن البيئة يعزز المعرفة البيئية و يؤدي إلى استيعابها ، ثانيا : إن التعلم البيئي موجه لحماية البيئة واتخاذ المواقف الإيجابية حيالها ، وثالثا : إن التعلم في البيئة يشجع التفاعل معها واكتساب الخبرة المباشرة فيها . ومن أجل نهج شمولي للتعلم البيئي يضم الأبعاد الثلاثة فمن الضروري أن تتوافر في وأن يتم تضمينها في توجيهات المعلمين و تكون كامنة في الخبرة الحرة للتلاميذ عبر سني الدراسة . وعلى الرغم من أن جغرافيات الأطفال قد جذبت اهتماما كبيرا في العقدين الأخيرين ، إلا أن البحوث الجغرافية عن استخدام الأطفال لساحات المدارس وحدائقها ما زالت قليلة . ففي استراليا جرى بحث عن أثر ساحة المدرسة على سلوك اللعب عند الأطفال في خمس مدارس ابتدائية ، اثنان منها في مدينة ملبورن ، والثلاث الأخرى في مدينة كانبيرا . وبسبب حجم مجموعة البيانات والتعقيدات التي تحتويها فقد ركزت المناقشات على مدرستين في كانبيرا . وقد اختيرت لتشابه تصميم ساحتهما و الفرص التي توفرها للتعلم البيئي ، و إنها تساعد على إجراء مقارنة بين الكيفية التي تعامل بها الأطفال ، وغيرهم ، في المدرسة مع هذه البيئة .

### الأطفال والبيئة

للأطفال انجذاب خاص نحو البيئات الطبيعية ، والعديد من الدراسات وجدت انهم يفضلون اللعب في الفضاءات الطبيعية والبرية على اللعب في بيئات مصنعة . ولهذه الفضاءات دعوة خاصة لهم بسبب تنوعها و شعورهم بالازمن . إن سهولة وصول الأطفال إلى البيئة الطبيعية أهمية كبرى لنموهم ، فالعديد من البالغين يتذكرون بتفاصيل البيئات الطبيعية أو الفضاءات خارج مساكنهم كأماكن مميزة في طفولتهم . ولهذه الفضاءات منافع ادراكية و نفسية وخبرات بيئية لا يستهان بها . ولهذه البيئات فوائد وأهمية لا تقدر بثمن عند السجناء والراقدين في المشفيات وطلبة الكليات ، والأطفال على وجه الخصوص .

وان وجود ما يمثل الطبيعة (الأشجار على سبيل المثال) من خلال النوافذ بالنسبة للأطفال أهمية لأنه يعزز قدرة الإدراك لديهم . وقد توصلت دراسات عديدة إلى نتيجة مهمة مفادها أن لعب الأطفال في الطبيعة له تأثيراته الإيجابية على سلوكيات اللعب الاجتماعي و قدراتهم على الملاحظة والتركيز في التفكير . وللبيئة الطبيعية محاسن وإيجابيات تفوق كثيرا ما تقدمه الساحات المخططة للعب ، وذلك لأنها أكثر تحفيزا للعب الإبداعي و تنويعه . وطبقا إلى مؤسسة التعليم والتدريب البيئي الوطنية في الولايات المتحدة فإنه حيثما تركز المدارس محاولاتها لتكامل التعليم في البيئات الطبيعية (باستخدام ساحات المدارس وحدائقها و الفضاءات المحلية) فإن الإنجاز التعليمي يتحسن وله تأثيره على المنهج برمته .

وتتأثر الطريقة التي يلعب بها الأطفال مع بعض ، وبقوة ، بأنواع العناصر الطبيعية المتوافرة في بيئات اللعب . ففي دراسة لوحظ انه عندما يلعب الأطفال في بيئة تسود فيها

تركيبات العباب (مراجيح و دوارات وغيرها) وليس عناصر طبيعية من نباتات وشجيرات فان القدرة البدنية هي الوسيلة المعتمدة وليس الذهنية . وبعد زرع الحشائش والنباتات والشجيرات في المناطق نفسها فقد لعب الأطفال بطريقة مختلفة كليا ، حيث تنامي الخيال و اللعب الاجتماعي عندهم . والاهم من هذا كله ، فان السلم الاجتماعي المستند على القدرة البدنية اصبح اقل وضوحا ، وتحسنت قدرات الأطفال وسيطرتهم اللغوية و قدراتهم الإبداعية و الابتكارية في التخيل في ما يمكن أن يكون أو أن يمثله الفضاء الذي يلعبون به .

ومن أجل تنمية الإحساس بالانتماء إلى المكان فان الاتصال المباشر مع المعطيات الطبيعية للبيئة بما فيها من نبات وتربة و حيوان وإنسان أمر ضروري جدا . وعندما يفقد الأطفال سهولة الوصول إلى البيئة الطبيعية المحلية فانهم يحرمون من فرص تطوير هذا الإحساس . وبسبب تأثيرات التحضر السريع فان الأطفال في العديد من مدن العالم هم الأقل حضوة في سهولة الوصول إلى الطبيعة، المحلية منها . فالفضاءات الطبيعية خارج المنازل تتناقص ، وهناك خوف متزايد من الاعتداءات في الأماكن العامة ، خاصة وان جدول الوالدين مزدحم بالأعمال دون فسحة لمرافقة أطفالهم في وقت لعبهم ، كما إن أماكن اللعب اليوم تركيبية وليست طبيعية .

### ساحة المدرسة والتعلم البيئي

تمثل ساحة المدرسة للعديد من الأطفال المكان الذي يتفاعلون فيه مع أقرانهم في بيئة طبيعية خارج المنزل ، لذا فالفائدة منها لا تحصى ، وخاصة في مجال التعلم البيئي . وقد أشارت الأبحاث إلى الطريقة التي يتعلم بها الأطفال من خلال اللعب ، المتأثر بعمق بالطبيعة و تصميم ساحة اللعب ، والسياسات التي تحدد استعمالات ساحة المدرسة من قبل التلاميذ . ويجد الأطفال ، وحتى ذوي الخيال الخصب منهم ، ساحة المدرسة الخالية من النباتات عصية على تحفيز خيال اللعب فيها . ففي دراسة أجريت في جامعة كاليفورنيا في بيركلي عن ساحات المدارس الابتدائية، عرض الأطفال مقترحات لإعادة تصميم الساحات . وقد تم تحويل جزء من الأرضية الإسفلتية إلى مظاهر طبيعية مثل الغابات ، حدائق ، و مروج . ورافق هذا تزايد العلاقات بين الأطفال من خلال العباب إبداعية ونشاطات تعليمية . وقد شجع التغيير في تصميم ساحة المدرسة المعلمين للاستفادة من الفضاء الجديد للقيام بنشاطات لا صفية و أخذ دروس في الهواء الطلق ، وبذلك تعززت الصلات وخبرات الأطفال في اللعب وتوافقها مع المناهج التعليمية الاعتيادية . لقد أخذ الأطفال الدور الجديد برحابة صدر و عزيمة ، دور صانعي المعرفة وليس مستلميها ومستهلكيها ، وهذا أمر مهم جدا من الناحية التربوية والتعليمية.

وقدم أحد الباحثين دراسة قارن فيها بين ساحتي مدرستين ، توفران فرصا مختلفة عن بعض . فلاحظ أن الساحة التي تركز على ممارسة الألعاب Games تمارس فيها نشاطات

تكون فيها السيارات الصغيرة وسيلة لتفاعل الأطفال مع بعضهم البعض . مثل هذه الساحات مفضلة عند الأطفال ذوي الطاقة البدنية العالية للتنافس والتباهي ، ومما يدفع ذوي الطاقات الأقل إلى التحدي والمتابعة البصرية في كثير من الأحيان . وقد يساعد اختلاف تجهيزات اللعب والأدوات المتوفرة في الساحة ذوي الطاقات المحدودة (أو الضعيفة) إلى التعاون دون التنافس .

وقد قدمت الدراسة مجموعة من المقترحات تتعلق بالمواد والأشياء التي يمكن توفيرها في ساحات المدارس لتكون مناسبة للتعلم البيئي ، مثل : توفر مظهر من مظاهر المياه ، مكان خاص للعب ، سهولة وصول إلى الطبيعة (أشجار ، شجيرات ، أوراد ، حشائش ، حشرات ، حيوانات) ميدان لعب منظمة ، أماكن أو مظاهر للجلوس ، والاختفاء فيها (لعبة الاختفاء والبحث التي يحبها الأطفال) وبيئة غير مركبة (يمكن تفكيكها ومعالجتها يدويا) و مواد غير متماسكة للعب بها . مثل هذه العناصر تعزز وتوفر مستويات عليا للتعلم البيئي في المدارس .

### تحسين ساحة المدرسة

لقد اهتمت منظمات عديدة بساحة المدرسة ، ففي المملكة المتحدة فان التعلم البيئي في المدارس معزز و بشدة من قبل منظمة التعلم من خلال اللاندسكيب LTL ففي بريطانيا بحثت هذه المنظمة و طورت اللاندسكيب منذ عام 1990 . وقد قاد هذا إلى تغيير في سياسة الحكومة البريطانية بشأن ساحات المدارس ، وصدر دليل عن قاعات الدرس المفتوحة Outdoor Classroom لتحسين ساحات المدارس. وفي عام 1997 طورت هذه المنظمة حوالي ثلث ساحات مدارس بريطانيا البالغ عددها ثلاثون ألف مدرسة . وقد حفزت المنظمة برامج مشابهة في كندا والسويد . تشمل مثل هذه البرامج جعل ساحات المدارس خضراء لتحسين قيمتها عند الأطفال من ناحية المنظر ومخرجات التعلم البيئي .

وفي الولايات المتحدة توجد منظمات معنية بتحسين نوعية فرص التعلم المتوفرة في ساحات المدارس . ويزيد عدد هذه المنظمات عن الأربعين ، وركز العديد منها على الحياة البرية وصيانتها ، ويرون أن ساحات المدارس هي أماكن مشجعة بيئيا لاتخاذ مواقف مسؤولة من قبل التلاميذ . واحدة من هذه المنظمات في مدينة بوسطن ، وبالتعاون مع مجلس المدينة أعادت الحيوية لساحات المدارس في المدينة . وفي بحث عن أهمية ساحات المدارس قدمت براهين كثيرة ، من خلال ملاحظات المعلمين ، و أقرحت برامج و تصاميم لساحات المدارس يتنوع فيها الاستعمال و بالتالي اللعب و خبرات التعلم النسقية وغير النسقية .

### ساحات المدارس في استراليا

على الرغم من فرص قيام حركة لتحسين بيئة التعلم في ساحات المدارس على المستوى الوطني في استراليا أو الوحدة الإدارية من خلال تقديم سياسات تعليم بيئية إلا أن المصادر والتعزيز لتحقيق ذلك على مستوى المدارس جميعها لم يتحقق بعد . ورغم وجود مبادرات فردية

في بعض المقاطعات مثل جنوب ويلز إلا أن هناك اتجاهات معرّقة لاستخدام ساحات المدارس في استراليا . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، فبدلاً من تحسين فرص لعب الأطفال خارج قاعات الدرس في المدارس الابتدائية فإن التغيير في بعض المدارس الأسترالية كان لإنقاص هذه الفرص . وكان أكثرها تأثيراً تقليص الوقت المخصص للراحة بين الدروس و للغداء والتوجه إلى إزالة تجهيزات الألعاب ، وتطبيق قواعد صارمة على استخدام الأطفال للساحات .

ولعل هذا راجع إلى نقص في فهم الكيفية التي يوفر بها اللعب فرصاً تعليمية، خاصة في مجال الخبرات الاجتماعية والتعلم البيئي . ذلك التعلم الذي يحدث عبر اللعب الذي عد هامشياً قياساً بما يحدث في قاعات الدرس . ويسود بين المعلمين اعتقاد بان الأطفال بحاجة إلى فرصة للاستراحة قبل البدء بواجب دراسي آخر . ولهذا المعتقد أرضية صلبة (نظرية الطاقة الفائضة) ، ويرى العديد من الباحثين بان لهذه النظرية عيوباً كبيرة . فهم يرون إمكانية أن يستعمل الأطفال البيئة المدرسية خارج قاعة الدرس للتنمية والتعلم وليس فقط للألعاب النسقية خلال فترات الاستراحة بين الدروس ، وأيضاً بإمكان المعلمين استخدامها لتعليم نسقي.

### نموذج منهجية بحث<sup>22</sup>

والآن حان وقت عرض منهجية بحث معني باستخدام الأطفال لساحات المدارس للتعلم البيئي . فقد ركز في هذا البحث على دور النشاطات التي يمارسوها في ساحة المدرسة ومضامينها في التعلم البيئي . وللبحث ثلاثة أهداف ، هي :-  
أ- استكشاف فرص التعلم البيئي في ساحة المدرسة الابتدائية باعتماد مدى من التقنيات البحثية المكثفة .

ب- استكشاف الصلة بين سلوك اللعب عند الأطفال و جغرافيات ساحات المدارس .

ت- استكشاف الصلة بين سلوك لعب الأطفال ومستوى التعلم البيئي .

اعتمد البحث ساحات المدارس ميداناً للتقصي ، مع خرائط تفصيلية للمظاهر العمرانية و الطبيعية في الساحات قيد الدرس ، و الملاحظة المنظمة لسلوك الأطفال وإسقاطه على الخرائط ، وتحليل رسوم الأطفال لساحات المدارس ، ومقابلات معهم (بأعمار 10 - 12 سنة) ، ومناقشات مع المعلمين . وإجراءات البحث هي :-

أ- العمليات النسقية :

- رسم خرائط السلوك ، النمط المكاني للأطفال خلال فترة الملاحظة مع نظام ترميزي

للسلوك والتفاعل الاجتماعي خلال فترات الاستراحة و الغداء .

(ينظر ملحق 2)

- ملاحظة الأقران من الأطفال ، المناقشات العرضية (وقت الغداء) مع الموضوع ومع قرينه حول نشاطات اللعب والسلوك .
  - ملاحظة ساحة المدرسة ، على شكل ملاحظات أو خرائط نقطية للاماكن المستغلة وغير المستغلة وقت الغداء .
  - مقابلات شخصية ، شخص لشخص مع تسجيل المناقشات مع الأطفال في ساحة المدرسة .
- ب - رسوم الأطفال :

- ساحة المدرسة كما هي عليه .
- ساحة المدرسة كما يجب أن تكون عليه .

ج - عمليات غير نسقية :

- مقترحات عامة حول ساحة المدرسة .
- تعليقات الأطفال خارج قاعات الدرس و وقت الغداء ، خلال عشرة أيام من الملاحظة المستمرة في كل مدرسة .
- الصور ، لقطات لساحة المدرسة ، نشاطات اللعب ، المنطقة المحيطة بالمدرسة .
- مناقشات مع المعلمين ، سماع مقترحاتهم ، وكذا الإدارة .
- مجلة الأبحاث ، تسجيلات انعكاسات شخصية للباحثين حول ساحات المدارس وسلوك الأطفال في اللعب وفي التفاعل ، وبين هذه العوامل .

شملت عملية الملاحظة المنظمة و الخرائط عشر أطفال بعمر (8 - 10) سنة في كل مدرسة خضعت للدراسة والتقصي . (ينظر ملحق 3) وكل تلميذ تمت ملاحظته ليوم كامل ، وقد اختير التلاميذ من قبل المعلمين على ضوء معايير حددها الباحثون . حيث طلب من المعلمين تهيئة عدد من الأولاد والبنات وبمدى سلوكي محدد في اللعب . والتقى الباحث أو من يساعده مع كل طفل في الصباح و أجريت معه مقابلة. واختيرت أسماء مستعارة للأطفال ليتم تسجيل البيانات لها . وقبل إجراء الملاحظة والمقابلة طلب من كل طفل رسم صورتين لساحة المدرسة ، الأولى كما هي الآن والثانية كما يحب هو أن تكون . إضافة إلى ذلك ، طلب من جميع الأطفال في الصفوف التي شملها المسح المشاركة في نشاطات الرسم .

لقد استحدث برنامج السلوك الخرائطي لتسجيل نشاطات كل طفل و كذلك التفاعل الاجتماعي أثناء الاستراحة بين الدروس و فترة الغداء . وكانت سلوكيات اللعب الأكثر إثارة واهتماما لهذه الدراسة هي : النشاطات البنائية (بناء مكعبات) ، التفاعل المتصل بالبيئة الطبيعية (جمع أوراق النباتات أو الخنفساء) ، استكشاف البيئة (التجوال في ممرات الحدائق أو الغابات) ، والنشاطات التخيلية (خاصة عندما تضم استعمال البيئة الطبيعية أو مواد مثل تصور أن

الشجيرات تمثل سفينة) . وهذه النشاطات تم تحديدها بعد تجارب في برامج تسقيط السلوكيات على الخرائط لتكون الأكثر تميزا ولتحديد الألعاب التي تقود إلى التعلم البيئي ، ولكل واحد منها عنصرا إدراكيا مهما يفوق النشاطات البدنية أو الاجتماعية الأخرى .

ولكل طفل سجلت خمس ملاحظات أثناء فترة الاستراحة بين الدروس ، وعشر أخرى خلال فترة الغداء ، وبين كل واحدة منها فاصلة زمنية تبلغ دقيقتان . بالإضافة إلى ذلك ، فإن حركة كل طفل قد سجلت على خارطة المدرسة ، وتم توقيع النمط المكاني للفترتين على الخارطة . وحال الانتهاء من تسجيل الملاحظات في فترة الغداء هناك فرصة للقيام بملاحظات غير نسقية للطفل ولأقرانه ولمدة (5 - 10) دقائق في ساحة المدرسة . يعني هذا التحدث بشكل غير نسقي مع الطفل (وأصدقائه إذا كان هذا مناسباً) بما يسمح للتحقق أو التوضيح للنشاطات المسجلة .

وبعد الغداء مباشرة يتم تسجيل لقاء صوتي مع الطفل الذي تمت ملاحظته خلال فترات الاستراحة والغداء في ذلك اليوم . وبعد ذلك يتم تحليل هذه المقابلات من خلال المقارنة . وقد غطت المقابلات (29) سؤالاً في المجالات الآتية :-

- الاستيعاب العام لساحة المدرسة ، وقت اللعب (تفسير رسومهم لساحة المدرسة) ،
- الأماكن المفضلة وتلك غير المريحة ،
- النشاطات التي يمارسوها وكيفية اللعب ،
- استخدام ساحة المدرسة أثناء الدروس ،
- الإحساس بالملكية والفخر بساحة المدرسة .

#### المدارس المختارة للتقصي

المدرستين المختارتين تقعان في كانبيرا ، ويتشابهان في عدد من الخصائص، ففيهما ساحة كبيرة تضم تنوعاً في المجال يمتد من أماكن لعب هادئ إلى أماكن نشاطات مشتركة والعباب فرق ، والمهم أنهما على غير المدارس الأخرى ، تضم ساحتهما غابة . ومدرسة أراند حكومية ، بينما مدرسة أورانا فتابعة للقطاع الخاص (أهلية) ، ولأنها هكذا يفترض وجود اختلاف في نشاطات اللعب بين تلاميذ المدرستين . توفر المدرسة الأهلية أساساً تعليمياً جيداً يستند على الموازنة الشاملة بين خبرات الحياة التعليمية و العقلية التصورية والعملية . إضافة إلى ذلك فإنها تنمي البدن و العقل والروح عند تلاميذها . وأهمية ساحة المدرسة فيها لتوفير ظهير حيوي حيث جاء في صفحة المدرسة في شبكة الانترنت : " إن نباتات الظهير الحيوي و الإحداثيات وإدامة حياتية الحديقة ونشاطات الظهير الأرضي هدفه تنمية بيئة طبيعية تعزز المناهج ، ولفائدة مجتمع المدرسة بما فيها من تصميم واستزراع وإدارة المياه و حديقة تعليمية ، وتنمية نظم بيئية طبيعية " .

تمتلك ساحة مدرسة اراندا الابتدائية تنوعا في بيئات اللعب ، بما فيها حديقة أمامية مع مشى يدور عبر شجيرات قليلة ، وعدد من الأماكن المفتوحة مع سطوح صلبة وأخرى لينة ، وعدد من الأماكن الكثيفة الظل ، ومجالات للعب هادئ ، و غابة . ويشير الأطفال إلى الغابات بأنها بيوت يمكن تطويرها وتميئتها .

أما مدرسة أورانا فلها سمة ريفية ، وقد وصفت في منشور صادر عن إدارة المدرسة بأنها : " تحتل موقعا هادئ وجميل ، محاط بغابة وارض مفتوحة ضمن مسافة قريبة من مركز المدينة . ويوفر هذا بيئة رائعة للدراسة واللعب - جو ريفي في بيئة المدينة" . وضمن ساحات مدرسة اورانا تتوافر مظاهر متميزة ، واكثرها بروزا غابة متكاملة . كذا هناك عدد من حدائق الأوراد حول مباني المدرسة . وتضم المدرسة أراض مخصصة لحديقة تعليمية . وحتى أجهزة الألعاب فيها فريدة لأنها تقليدية مصنوعة بمعظمها من الخشب . وأيضا هناك تنوع في أماكن لعب ذات جاذبية واهتمام ، بما فيها الألعاب الجماعية ، وهناك مدرج مغطى بمظلة خاصة للعب الهادئ .

يسمح للأطفال في مدرسة أراندا الوصول إلى معظم الساحات ، ولبعضها قيمة تعليمية عالية ، ولكن غير مسموح للأطفال الدخول إليها للعب خلال أوقات الاستراحة و الغداء . والحديقة الأمامية بممشاها الجذاب تمر عبر شجيرات ومفتوحة . وكذلك هناك الغابة أو (البيوت النامية) ، ولا يسمح باللعب في الأراضي المزروعة . وبالقرب من المدرسة توجد أراض فيها مبزل مفتوح مع مياه ضحلة ، ويبدو أن الأطفال لا يستخدموه .

وفي مدرسة أورانا توجد إشارات على أشجار الغابة تؤثر حدود المسموح للأطفال للوصول إليه دون تجاوزه في لعبهم أثناء الاستراحة بين الدروس . ومع هذا فان المعلمين يأخذوهم إلى أبعد من ذلك في الغابة خلال ساعات الدرس . وكذلك ، فان الحديقة التعليمية لا يسمح للدخول إليها أثناء الاستراحة بين الدروس ولكنها تستخدم بكثافة للنشاطات التعليمية . وللمزيد من المعلومات يمكن العودة إلى البحث نفسه ومعرفة ما توصل إليه الباحثان .

### جغرافية أطفال العراق

مما تقدم يتضح أنهم قد تعاملوا مع الأطفال كمخلوقات لها رأي و موقف ، لها خبرتها الذاتية ، ولها عالمها الخاص بها ، و لها طريقتهما في التعلم الذاتي . و نظروا إلى ساحة المدرسة كامتداد لقاعة الدرس ومكملة لها في المنهج وفي التربية والتعلم الذاتي . وفي الوقت الذي يرسلون أجهزتهم لاكتشاف المريخ والفضاء الخارجي ، فهم ما زالوا يستكشفون عالم الأطفال في مدنهم وقراهم .

متى نكتشف نحن عالم أطفال العراق ؟ (لا حاجة لأن نفكر بالمريخ حاليا !) ومتى نهتم بساحات المدارس ؟ ومتى نستخدمها للتعلم الذاتي ؟ ومتى يكون التلميذ صانعا للمعلومة وليس

متلقيا لها ؟ ومتى يعرف تلامذتنا وطلبتنا عن العالم الذي يعيشون فيه اكثر مما نلقنهم من معلومات عن العالم الخارجي ؟ متى نقرأ خرائط الأطفال ؟ ونستوعب جغرافيتهم ؟  
ومنذ عام 1980 وأطفال العراق محرومون من الكثير ، من الحنان والرعاية على وجه الخصوص . ففي فترة الحرب كان الأب في جبهات القتال ، سواء أكان عسكريا أم مدنيا ، وكانت الأم تتولى عملية التربية والإدارة المنزلية . وكان الوالد عاجزا عن متابعة أبنائه خلال الإجازات القصيرة التي كان يتمتع بها . وفي زمن الحصار اشترك الجميع ، صغارا وكبارا ، في العمل لتوفير لقمة العيش ، وتعاضم التوجه المادي في الشارع ، وداخل الأسرة أيضا . وخلال عقدين من الزمن (الثمانينات والتسعينات) تغيرت نسبة عالية من القيم الاجتماعية والتربوية السائدة بدرجة تصل إلى (180) درجة ، فمعظم القيم والمعاني قد (أصبحت بالمقلوب) عند الجيل الجديد . جيل يفتقد إلى الهوية والوضوح .

ومع تغير نظام الحكم في البلد ، والانفتاح على العالم عبر التلفاز والانترنت فان ما بقي من دون تغيير ، أخذ يتأرجح مثل بندول الساعة . إزاء وضع مثل هذا ، ماذا نعرف عن أطفالنا ؟ (جيل الحداثة – ما بعد الجيل الجديد)، ماذا عن القيم التي يحملوها ؟ وعن تصوراتهم لما جرى ؟ وما يجري على الساحة العراقية ؟ ونظرتهم للتعليم والمدرسة ؟ ونظرتهم للمجتمع ؟ وانتمائهم للوطن ؟ وأفكارهم ؟ و الملامح المشتركة لشخصياتهم ؟ وعن مستقبل العراق من خلال عيونهم ؟

أوجه صرخة داوية في وجه السياسيين ، والتربويين كي يستوعبوا الحال الذي عليه أطفالنا . أطفال لعبتهم الرشاشة والدبابة ، ومفرداتهم اللغوية نجهل معانيها . عاشوا الحرمان بمختلف معانيه ومعطياته . إلى متى نبقى نجهل عالمهم الخاص بهم ؟ متى نكتشفه ؟ إلى متى نسمح للفواصل بيننا وبينهم يتسع ؟ متى نفكر في رآب هذا الصدع ؟ متى نصحوا من الغيبوبة ؟ متى نفكر في مستقبل آمن ؟ لنا ولأطفالنا ؟ أتمنى أن نهتم جميعا بالأطفال ، كل من مكانه و تخصصه ، وكل حسب ما يستطيع و يتمكن . وأن نستكشف عالم البراءة ، عالم الأطفال ، ونرى جغرافيون بالفطرة يفهمون الواقع اكثر مما نتصور ونعتقد . ولنحفزهم لبناء عراق المستقبل ، ونؤهلهم لذلك بما هو متوافر لدينا من أدوات عتيقة وأفكار (أكل الدهر على بعضها وشرب) . المهم أن نبدأ ، لا أن نتعاس و نتحرى مبررات للتملص من هذا الواجب الوطني. مستقبل العراق مرهون بهم ، فلنتمسك بهم ، فهم الأمل ، وعليهم ينعقد العزم ، إن شاء الله .

### ملحق (1)

بعض من الموضوعات الأولى في جغرافيات الأطفال

السنة	العنوان	الكاتب
-------	---------	--------

Heinemeijer , W. F. & de Sitter , L. U.	Neighbourhood , Youth and Leisure	1964
Allen of Hurtwood	Planning for Play	1968
Opie , I & Opie P.	Children`s Games in Street and Playground	1969
Winnicott , D. W.	Playing and Reality	1971
Ward , C. & Fyson , A. J. C.	Streetwork : The Exploding School.	1973
Hart , R.	Children`s Experience of Place : A Developmental Study	1978
Tuan, Y-F	Children and the natural environment	1978
Ward , C.	The Child in the City	1978
Moore , R. C.	Childhood`s Domain : Play and Place in Child Development	1986
Nettleton , B.	Parks for children : some perspectives on design	1987
Ward , C.	The Child in the Country	1988
Dyck , I.	Integrating home and wage workplace : women`s daily lives in a Canadian suburb	1989
Olwig , K. R.	The childhood deconstruction of nature	1989
Spencer , C. et al.	The Child and the Physical Environment	1989
Finnegan , R.	The Hidden Musicians	1989
Bowlby , S.	Women , work and the family : control and constrains	1990
James , S.	Is there a place for children in geography ?	1990
Sibley , D.	Children`s geographies : some problems of representation	1991
Winchester , H.P.M.	The geography of children	1991
Philo , C.	Neglected rural geographies : a review	1992

Matthews , M. H.	Making Sencse of Place : Children`s Understanding of Large-scale Environments	1992
Katz , C.	Growing girls / closing circles : limits on the spaces of knowing in rural Sudan and US cities	1993
Katz , C.	Textures of global changes : eroding ecologies of childhood in New York and Sudan	1994
Wood , D. & Beck , R. J.	Home Rules	1994
Nieuwenhuys , O.	Children`s Lifeworld : Gender , Welfare and Labour in the Developing World	1994
Karsten I. Et al.	Building Identities : Gender Perspectives on Children and Urban Space	1995
Smith , F.	The Geography of Out of School Childcare	1996
Hart , R.	Children`s Participation : The Theory and Practice of Involving Young Citizebs in Community Development and Environmental Care	1997
Skelton , T. & Valentine , G.	Cool Places : Geographies of Youth Cultures	1998
Hecht , T.	At Home in the Street : Street Children of Northeast Brazil	1998
McKendrick , J. H.	Children`s Playgrounds in the Built Environment	1999
Dwyer , C.	Veiled meanings : young British Muslim women and the negotiation of differences	1999
Holloway , S. I . &	Children`s Geographies : Playing , Living ,	2000

Valentine , G.	Learning	
Holloway , S. I. & Valentine , G.	Spatiality and the new social studies of childhood	2000
Aitken , S. C.	Geographies of Young People : The Morally Contested Spaces of Identity	2001
Karsten , I.	Mapping childhood in Amsterdam : The spatial and social construction of children`s domains in the city	2002
RGS & IBG	First Steps : A primer on the geographies of children and youth	2004

## ملحق (2)

### رموز خارطة السلوك

الوصف	الرمز
<b>التفاعل الاجتماعي</b>	
لعب مفرد ، دون الارتباط بالآخرين	SP
لعب موازي ، على امتداد الآخرين ، يستخدم المواد المتوفرة ، دون تأثير على الأطفال الآخرين	PP
لعب مصاحب ، يشترك مع الآخرين في نشاطات مشابهة ، تبادل المواد والاتصالات ، ليس هناك هدف مشترك .	AP
لعب تعاوني ، مجموعة أطفال تنظم نفسها لهدف في الذهن ، العاب افتراضية ، مسرحية	CP
لعب شخصين فقط	TP
مجموعة صغيرة (3 - 6)	SG
مجموعة كبيرة (7 فأكثر)	LG
<b>سلوك اللعب</b>	

SF	التركيز على الذات بدون تفاعل مع الأطفال الآخرين ، أحلام يقظة ، قراءة ، ....
OP	المشاركة من خلال المشاهدة ، انتظار الدور في لعبة الفريق
OO	ملاحظة الآخرين ، أخذ دور المراقب دون التفاعل مع الأطفال الآخرين
VI	التفاعل اللفظي مع واحد أو أكثر من الأطفال
<b>نشاط إدراكي</b>	
C	نشاط بنائي (بناء أو صنع أشياء من مواد متنوعة)
IL	تفاعل قريب مع البيئة الطبيعية (يقع في أو يستخدم الطبيعة)
EE	استكشاف البيئة (التجوال ، التنقل في البيئة ، تسلق الأشجار)
IA	نشاط تخيلي (لعب فيه تظاهر وتمثيل وخيال)
<b>نشاط فيه خبرات بدنية</b>	
FE	لعب حر بالمواد المتوفرة (مضرب ، كرة وليس كفريق ، رمي الكرة باتجاه الحائط)
FS	اللعب على بناء ثابت (استخدام تصاميم موجودة أو العاب ثابتة في المكان)
TG	الاشتراك في فريق منظم (فرق مع قواعد متفق عليها ، كرة القدم)
<b>غيرها</b>	
IP	البيئة المبنية الداخلية (الذهاب داخل مبنى المدرسة)
ML	التنقل في الموقع (ركض ، مشي حول محيط معين)
CA	تغيير نشاط ، عندما لا يكون هناك نشاط محدد
O	غيرها (وصف قصير لذلك)

### ملحق (3)

نموذج خارطة السلوك البيئي للأطفال

رمز العينة : مدرسة اورانا ، الجنس : أنثى ، العمر : 8

الظروف الطبيعية :	الجنس	رمز الاسم		المدرسة : أورانا	
شمس دافئ	: أنثى	المستوى	الوقت	التاريخ	فترة
		8 :	11 - 11.40	2001 \ 3 \ 6	اللعب الاستراحة
وصف المكان	سلوك اللعب		التفاعل	رمز	العينة
			الاجتماعي		

المدرج :وقوف مع مجموعة ، تنظر إلى ضفدعة في حاوية	VI IE EE	AP SG(5)	1
الغابة : تتحرك عبر الغابة ، تتحدث ، تنظر إلى ضفدعة	VI IE EE ML	AP SG(5)	2
الغابة : تتظاهر تقطيع الخشب	EE IA	AP SG(4)	3
الغابة : تركض خلف صديق لتريها ريشة خضراء	ML IE	SP	4
الغابة : تعرض علي ريشة و ضفدع	VI	AP SG(4)	5
			6
			7
			8
			9
			10
ملاحظة تكرار السلوك			المرجع
مع أطفال آخرين مسك ضفدع من الحديقة و صنع منزل			قبل الملاحظة

### المصادر والهوامش

- <sup>1</sup> لمعرفة المزيد عن دراسة الجغرافيين للسلوك ينظر : Gold , J.R., 1980 ,  
An Introduction to Behavioral Geography , Oxford U.P., Oxford.
- <sup>2</sup> منهج دراسة المجموعة Group Study Approach من المناهج المعتمدة في الجغرافيا  
الاجتماعية ، ولمزيد من التفاصيل ينظر : العمر ، مضر خليل و محمد احمد المومني ، 2000  
، جغرافية المشكلات الاجتماعية ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، اردب ، الأردن .
- <sup>3</sup> موقعها على الشبكة الدولية (الانترنت) هو :-  
[http://taylorandfrancis.metapress.com/\(j1pbqomlnh5iqf55zqhnra2n](http://taylorandfrancis.metapress.com/(j1pbqomlnh5iqf55zqhnra2n)

---

[/app/home/journal.asp?referrer=parent&backto=linkingpublicationresults,1:300336,1](#)

<sup>4</sup> First Steps : A Primer on the Geographies of Children and Youth . Routledge , 2004 , London . ويمكن الحصول عليها عبر الانترنت من العنوان أدناه

<http://www.tandf.co.uk/journals/pdf/FirstSteps.pdf>

<sup>5</sup> Winnicott , D. W., Playing and Reality , Tavistock Publications , London , 1971 , 1982 , & Penguin 1974 , 1980 , & Routledge , 1991 .

<sup>6</sup> Dyck I, 1989 , Integrating home and wage workplace : women`s daily lived in Canadian suburb . Canadian Geographer , 33(4) , & Dyck , I, 1990 , Space , time , and renegotiating motherhood : an exploration of the domestic workplace, Society and Space , 8 .

<sup>7</sup> Ward C., & fyson , A. J. C. , 1973 , Streetwork : The Exploding School , Routledge & Kegan Paul : Boston , Mass..

<sup>8</sup> <http://www.lboro.ac.uk/departments/gv/staff/gyslh/>

<sup>9</sup> Katz , C., 1993 , Growing girls / closing circle : limits on the spaces of knowing in rural Sudan and U.S. cities , In Katz , C., & Monk , J., Editors , Full Circles : Geographies of Woman Over the Life Course , Routledge : London , &

Katz , C., 1994 , Textures of global changes : eroding ecologies of childhood in New York and Sudan . Childhood : A Global Journal of Child Research 2 .

[http://web.gc.cuny.edu/che/cerg/research\\_team/cindi\\_katz\\_index.htm](http://web.gc.cuny.edu/che/cerg/research_team/cindi_katz_index.htm)

<sup>10</sup> Philo , C., 1992 , Neglected rural geographies : a review , Journal of Rural Studies , 8 (2) .

<sup>11</sup> Ward , C., 1988 , The Child in the Country , Robert Hale ; London . & 1990 , Bedford Square Press , London .

<sup>12</sup> Wood , D., & Beck , R. J. , 1994 , Home Rules . The John Hopkins University Press ; Baltimore & London .

<sup>13</sup> Hart , R., 1978 , Children`s Experience of Place : A Developmental Study , Irvington ; New York .

<sup>14</sup> Rowntree , S., 1902 , A Study of Town Life , 3<sup>rd</sup> Edition , Longmans , Green & Co; London , & 2000 The Policy Press .

<sup>15</sup> <http://www.fmg.uva.nl/amidst/object.cfm?objectid=563434B2-4A19-447B-B721AC7D996596C2>

<sup>16</sup> Heinemeijer , W. F. & de Sitter , L. U., 1964 , Buurt , Jeugd en Vrije Tijd (Neighbourhood , Youth and Leisure) , Gemeentelijk Bureau voor Jeugdzorg ; Smestrדם .

<sup>17</sup> Tuan, Y-F., 1978 , Children and the natural environment .

---

In Altman , I. & Wohlwill , J. F. , Editors , Human Behavior and Environment : Children and Environment , Plenum : New York .

<sup>18</sup> <http://www.leeds.ac.uk/family/members/valentine.htm>

<sup>19</sup> Skelton , T. & Valentine , G. , 1998 , Cool Places : Geographies of Youth Cultures . Routledge : London .

<sup>20</sup> <http://www.uvm.edu/~cdeburlo/childgeogsyl.html>

<sup>21</sup> <http://www.geog.buffalo.edu/research/geokids/About%20Us/AboutUs.htm>

<sup>22</sup> Tranter , P.J. , & Malone , K. , Geographies of Environmental Learning : An Exploration of Children`s Use of School Grounds , Children`s Geographies , Vol. 2 , No. 1 , 131-155, Feb. 2004 .